الباب السادس / الصين والوطن العربي

الفصل الاول : علاقات العرب المبكرة بالصين

المبحث الاول : في الحقبة القديمة

علاقة الصين بالعرب قديمة ترجع على اصح اعتقاد الى القرن الثاني قبل الميلا فالروايات الوثيقة المدونة في تاريخ الصين القديم، تشير الى ان الامبرطورية الصيني (وو تي) (wuti) العاهل الخامس من اسرة هان Han قد بعث سنة ١٢٢ قبل الميلاد احد امرائه (جانغ جيانغ) سفيرا الى بلاد العرب التي كانت تطلق في اصطلاحات جغرافيا الصين القديمة على بلاد التتار والهند وايران والبلاد الواقعة الى الغرب منها لايجاد علاقات ودية وتجارية مع هذه البلدان(١)

وكان من نتيجة هذه السفارة ان اتصلت الصين ببلاد العرب وصارت قوافلها التجارية تسير غربا لتمر بالعراق وبقية بلدان غرب اسيا.

وبعد ذلك تذكر هذه الروايات ان مبعوثا اخر هو (فان ينغ) قد وصل الى العراق بأمر من القائد الصيني بان تشاو وكان مقدرا له ان يذهب بسفرته الى ابعد من ذلك الا ان شدة العواصف والامواج اضطرته للعودة وفي جعبته اخبار طريفة عن العراق وبقية البلاد التي زارها في طريقة(٢).

وفي كتاب الاخبار التاريخية المسمى بـ (شي جيه shih chih) لشي ماجياي الذي يعد من اكبر مؤرخي الصين انذاك، ورد ذكر الجياد الاصلية ضمن البضائع الواردة من بلاد داوان وهو بذلك يشير الى المنطقة العربية التي عرفت بجودة خيولها، وعلى وجه التحديد ذكر ان هذه الخيول يتاجربها من العراق الى جنوا الى الصغد الى (سي آن) عاصمة الصين القديمة ومعظم هذه التجارات كانت تقايض ببضائع اخرى(٣).

ولموقع بلاد الشام مقام معلوم بين المدن المتفرقة في اسيا الصغري وقبرص ومصر وارمنيا ومدين وبابل، فانها كانت مركزا لتجارة اليواقيت والاحجار الكريمة على اختلاف انواعها والى جانب ذلك احتلت مدينة الاسكندرية مركزا تجاريا وصناعيا تصدر منه العديد من التجارات الى بلاد الصين عن طريق البحر الاحمر(٤).

---

١ ـ العلاقات بين العرب والصين، لبدر الدين الصيني ١٩٥٠، ص ٩.

٢ ـ الاسلام في الصين ، الكويت ١٩٨١، ص ٤٠

٣ ـ العلاقات بين العرب والصين ، ص ١١

٤ ـ Histh, china and Roman', P. 245.

كما ان مدينة عدن الواقعة على ساحل بلاد العرب الجنوبية، قد ادت دورا هاما في العلاقة التجارية بين مصر والهند والصين في القرون الاولى الميلادية. وذكر جو- كوا[1] : ان سفارة (ماركس اوليوس انتونيوس) الى بلاد الصين التي امر بها امبرطور الروم الشرقية في سنة ١٦٦م قد سلكت طريق البحر عبر البحر الاحمر والبحر العربي ثم الخليج العربي الى ملاباز وسرنديب وسومطرة ومالاكا وتونكين ثم تحولت برا وصولا الى عاصمة الصين وكان ذلك في عهد الامبراطور الصيني (سيون جيون) واستنادا الى هذه الرواية فان الطريق البحري بين الصين وبلاد العرب قد استعمل بوصفه طريقا منظما منذ القرن الاول من الميلاد. ويؤيد ماذهبت اليه المصادر الصينية والرومانية ماذكره المسعودي[2] : من ان سفن الصين والهند كانت ترد الى ملوك الحيرة لتفرغ حمولتها قرب النجف، وان خالد بن الوليد حينما حرر الحيرة صلحا، قال لعبد المسيح بن عمر بن نفيلة ماتذكر؟ قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون، مما يدل على ان العلاقة التجارية كانت قائمة مباشرة بين الصين والحيرة. وما ورد في الاثر اطلبوا العلم ولو في الصين، يدل بمالا يقبل الشك على معرفة العرب بهذه البلاد النائية وهو ماقصد اليه النص.

المبحث الثاني : في الحقبة الاسلامية

سبق ان ذكرت ان علاقة الصين بالعرب ترجع الى القرون الاولى الميلادية الا ان الثابت ان هذه العلاقة قد تطورت الى علاقة مباشرة خلال القرن السابع الميلادي الذي شهد ظهور الاسلام.

جاء ذكر بلاد العرب في تاريخ اسرة تانغ (جيو تانغ شو) وفي كتاب تانغ الجديد (شنتانغ شو) وهما يدونا تاريخ هذه الاسرة التي حكمت حوالي ثلاثة قرون من ٦١٨ - ٩٠٦م وهي الحقبة التي توافق ظهور الاسلام والعصرين الاموي والعباسي. ذلك ان اسرة تانغ وصلت الى حكم الصين بعد البعثة النبوية ببضع سنوات واستمرت في الحكم حتى عهد الخليفة المكتفي بالله العباسي اي حتى سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م[3].

١- كتاب تذكرة عن الامم الاجنبية اي جوفان جي، ص ٥ مترجم الى الانكليزية

٢- مروج الذهب ... ج١ ، ص ١٤٢

٣- الاصول التاريخية ... ص ١١٠ و ١١١

تانغ جونغ

وصلت الى سماع ابناء الصين ظهور الاسلام قوة اكتسحت القوتين العظميين : الساسانية والبيزنطية، عن طريق يزدجر اخر اكاسرة الفرس الذي فر بعد انتصار العرب المسلمين في معركة نهاوند التي دارت داخل الارض الايرانية سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢م، ذلك ان هذا الكسرى استنجد بالامبراطور الصينين (تانغ جونغ) طالبا مساعدته ضد العرب المسلمين ومع ان هذا الامبراطور قد تعاطف مع يزدجر وامده بعدد من الجند الترالا ان ذلك لم يجده فقد قتل في مرو سنة ٣١هـ / ٦٥١م وهو يحاول ان يتأهب لمحاربة الدولة العربية الاسلامية يحدوه امل اعادة عرشه الفارسي الذي اسقطه العرب الى غير رجعة[1]

في كتاب تانغ القديم :ان بلاد تاش اي العرب في غرب ايران ومنهم بنو قريش والسيادة في ايديهم، وقد تفرع من قريش بطنان بنو هاشم وبنو امية ، ومن بني هاشم محمد رسول الله (ص) كان شجاعا ذا علم واسع فانتخب ملكا عليهم وقد قاتل من خالفه حتى غلب عليهم وامتد سلطانه الى يثرب. وفي كتاب تانغ الجديد : ان بلاد العرب واسعة ، تمتد الى ايران ولرجالها انوف شامخة ولحى سود يحملون السيوف برباط الفضة لايشربون الخمر ولايعرفون موسيقى ونساؤهم بيض يتقنعن حينما يخرجن من البيوت، وفي بلاد العرب معبد عظيم فيه يخطب ملكهم مرة في الاسبوع قائلا: ان الذين يقاتلون في سبيل الله واذا وقتلوا بايدي الاعداء يرفعون الى الجنة ولذلك فاهل العرب محاربون مقاتلون شجعان ويصلون خمس مرات كل يوم، وارض بلادهم كثيرة الحجارة غير ملائمة للزراعة فالسكان يشتغلون بالصيد والقنص والرعي ويعيشون على اللحوم والالبان وعندهم الابل والجياد الاصلية. وهناك في مواضع اخرى من كتاب تاريخ تانغ القديم ذكر لبني امية في شخص معاوية بوصفه حاكما من بني امية ذوي الملابس البيضاء، وعن بني العباس يقول هذا الكتاب الصيني : ان ابا مسلم الخراساني اتفق مع عبد الله بن عباس على اسقاط بني امية واعلنا ان من يتحزب بحزبهما عليه ان يلبس اللباس الاسود فتجمع حولها الناس وقتلوا مروان اخر خلفاء بني امية وبعد ذلك انتخب ابو العباس وهو من بني هاشم ملكا ثم خلفه ابو جعفر المنصور.[2]

وتزعم بعض الاساطير الصينية ان امبراطور الصين «تاي تسونج» ارسل الى النبي (ص) ليوفد بعثة لنشر الاسلام في الصين، فبعث النبي (ص) ثلاثة من الصحابة توفي اثنان

---

١ - تاريخ الرسل للطبري، ج٠٤ ص ٢٩٧

٢ - العلاقات بين العرب والصين ، ١٤٦ و ١٤٧، ايضا كتاب الصين وفنون الاسلام لزكي محمد حسن، بيروت ١٩٨١، ص ٨

منهم في الطريق ووصل الثلاثة الى الصين، فاحسن الامبراطور استقبالهم وساعده في انشاء مسجد بمدينة كانتون، وفي اسطورة اخرى ان الامبراطور (ون تي) بعث الى النبي رسولا يطلب اليه ان يسافر بنفسه الى الصين فاعتذر عليه السلام، واوفد مع الرسول الصيني اربعة من الصحابة على رأسهم خاله سعد بن ابي وقاص الذي كان اول من بشر بالاسلام في الصين ويقال انه توفي ودفن في ظاهر كانتون بقبر لايزال ينسب اليه. وزعموا في هذه المناسبة ان رسول الامبراطور رسم صورة رسول الله سرا وسلمها الى سيده. ولنا ان نقول ان هذه الروايات ليس لها مايؤيدها من نصوصنا التاريخية، الا اننا يمكن ان نستنتج منها ان اهل الصين كانوا على علم باحوال العرب وطبيعة بلادهم وبظهور الاسلام وبتباديء التي بشر بها هذا الدين الحنيف(١).

وكما حاول يزدجرد الفارسي الاستنجاد بامبراطور الصين منذ الزحف العربي الاسلامي، فقد حاول ابنه فيروز الذي كان يعيل رئيسا لفرقة الحرس الامبراطوري لقصر سيان في الصين، طلب مساعدة الامبراطور (تانغ جونغ) ضد العرب، الا ان هذا الامبراطور رفض ان يقدم اليه المد العسكري المطلوب محتجا ببعد المسافة، ولكن قيل انه بعث الى المدينة مندوبا للدفاع عن قضية فيروز وليتبين قوة العرب المسلمين، وان الخليفة عثمان (رض) رحب بالوفد الصيني وارسل احد القادة العرب لمرافقته لما عاد الى بلاده سنة ٢١ هـ / ٦٥١ م (٢).

وتقول التواريخ الصينية : ان وفدا عربيا وصل الى عاصمة الصين (جانغ ان) في السنة الثانية من عهد الامبراطور (يونخوي) سنة ٣١ هـ /٦٥١م، ونقل الى الامبراطور انباء جزيرة العرب التي شهدت ظهور نبي بعثه الله من بين العرب داعيا الى التوحيد، وان اعضاء الوفد لما مثلوا امام الامبراطور الصيني قالوا له: ان ملكهم يلقب(هنجي مومنين) اي امير المؤمنين وان حكومتهم اسست منذ اربع وعشرين سنة وقد مضى منهم ثلاثة حتى الان.

وفي كتاب تانغ الجديد حديث عن وفد عربي اخر وصل بعد اربع سنوات، وقد وصف هذا الوفد بلاد العرب بقوله : ان بلادنا بقرب ايران وغلبنا عليها وعلى الشام

---

١ ـ كتاب نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام في الصين واحوال المسلمين فيها، لمحمد مكين الصيني المطبعة السلفية بمصر ١٩٣٤، ص ٦ ومابعدها

٢ ـ الدعوة الى الاسلام، ص ٢٣٢

ومندوبا نحو ٤٢٠ الف مقاتل لاشيء يستطيع ان يسد طريقنا اينما نتوجه ولنا حكومة قد مضى عليها (٣١) عاما بعد التأسيس وعلى العرش الان الملك الثالث.

ويذكر كتاب عن ولاية فوكيين : ان المدينة كان بها محمد رسول الله ولد في اول عبد كاني واتبع) فحكم عشرين عاما وهو صاحب الكتاب، يحب الحسنات ويكره السيئات فيدعو الناس الى الحق بامر الله، ينشر الاسلام على حسب الوحي وكان له اصحاب بعث اربعة منهم الى الصين احدهم استوطن بمدينة (كانتون) فبث الدعوة هناك ، والثاني بمدينة (يانغ شو) فوقف حياته لنشر الاسلام واما الثالث والرابع فسافرا الى جوان شو فاما توفيا الى رحمة الله دفن بجبل الى جنوب منها[١]

واغلب الظن ان هذا اول وفد عربي يصل الى عاصمة الصين بعد ظهور الاسلام وليس من المؤكد انه كان سفارة رسمية، ومن المحتمل انه كان مجرد جماعة من التجار العرب نشروا الدعوة بجميتهم الاسلامية، ولعل هذا الوفد قدم من اسيا الوسطى حيث كانت الجيوش العربية في ايام الخليفة عثمان (رض) قد توغلت في اذربيجان وارمنية ووصلت الى الخزر، وهذا الغموض الذي يكتنف المكان الذي توجهت منه هذه السفارات العربية الى الصين يعد مشكلة تواجه الباحث، مع التسليم بان كثيرا منها قد جاءت من الاقاليم الاسلامية القريبة من بلاد الصين. واذا رجعنا الى التواريخ التي حددتها المصادر الصينية لوصول هذه السفارات نجد ثغرة في العلاقات تمتد بين سنتي ٣٥ و ٦٢ هـ / ٦٥٥ و٦٨١ م اي خمس وعشرين سنة هي الحقبة التي حكم خلالها الامام علي (رض) والخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان. ومن الواضح ان الاوضاع الداخلية في الدولة العربية الاسلامية خلال تلك الحقبة اتسمت بالصراع الداخلي والقلق وعدم الاستقرار، مما ادى الى قيام فتور لابد من حدوثه في العلاقات الدبلوماسية مع الدول الخارجية. غير ان النشاط الدبلوماسي مع الصين استؤنف في سنة ٦٢ هـ /٦٨١ م حيث نجد اشارة الى سفارة عربية وصلت الى تلك البلاد ويرجح الدكتور فيصل السامر ان هذه السفارة انما كانت قد ارسلت في اواخر حكم معاوية وانها وصلت متأخرة او ان تكون من مسلمين جاءوا من اقليم اسيا الوسطى المفتوحة حديثا، ذلك ان يزيد الاول ٦٠-٦٣ هـ / ٦٧٩-٦٨٢ م لم يكن في وضع يسمح له بالاهتمام بالشؤون الخارجية خلال حكمه القصير المشحون بالاحداث الجسام[٢].

---

١ ـ العلاقات بين العرب والصين ، ص ١٤٨ وما بعدها

٢ ـ الصين التاريخية ... ،ص ١١٥

اما البعثة التالية فقد وصلت الى الصين في سنة ٨٤ هـ / ٧٠٢ م اي بعد مرور اثنين وعشرين عاما. ويتضح من استعرض الاحوال الداخلية في الدولة العربية ان عهد معاوية الثاني الذي امتد اربعين يوما، وعهد مروان بن الحكم ٦٤-٦٥ هـ /٦٨٣-٦٨٥ م الذي امتلأ بالحروب الاهلية والصراع القبلي، والشطر الاكبر من خلافة عبد الملك بن مروان ٦٥-٨٦ هـ / ٦٨٥-٧٠٥م الذي شهد قمة الصراع الدخلي وزخم حركات المعارضة، لم تكن ملائمة لارسال سفارات الى البلاد النائية كالصين. ولابد ان سفارة سنة ٨٤ هـ / ٧٠٢ م كانت قد ارسلت في اواخر عهد عبد الملك بعد ان توطد حكمه واستقرت الاحوال في الدولة العربية اوانه جاء من مكان اخر قريب من بلاد الصين(١).

وتمثل محاولة قتيبة بن مسلم الباهلي لفتح بلاد الصين خطوة متقدمة في علاقة العرب ببلاد الصين، ففي عهد الوليد بن عبد الملك ٨٦ - ٩٦ / ٧٠٥-٧١٥ م قدم هذا القائد واليا على خراسان وبمشورة من الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق قاد قتيبة جيشا عربيا تقدم به من مرو بخراسان الى بلاد ماوراء النهر بعد ان عبر نهر جيحون (امودريا oxus ودانت له بخارى وسمرقند وغيرها حتى وصلت جيوشه الى حدود الصين سنة ٩٦/٧١٤م: فارسل الى الامبراطور الصيني (يوانغ جونغ) ٩٥ - ١٢٨/٧١٣-٧٥٥م وفدا من عشرة رجال لهم جمال وحسن وباس وعقل وصلاح وجهزهم بعدة حسنة وقماش حسن من الخز والوشي وسمى منهم هبيرة بن المشمرج الكلابي ليكون متحدثا باسم الوفد ، ولما مثلوا امام الامبراطور قال لهم : انصرفوا الى صاحبكم فقولوا له ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة اصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه ، فاجابه هبيرة : كيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله في بلادك واخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا وغزاك؟ واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل فلسنا نكرهه ولانخافه. قال فما يرضي صاحبك؟ قال : انه قد حلف ان لاينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم ويعطي الجزية، قال: فانا نخرجه من يمينه نبعث اليه بتراب من تراب ارضنا فيطأ ونبعث ببعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها، ثم ان الامبراطور دعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحرير وذهب واربعة غلمان من ابناء ملوكهم ثم اجازهم فاحسن جوائزاهم فساروا فقدموا بما بعث به فقبل قتيبة الجزية وختم الغلمة وردهم ووطي التراب(٢).

---

١ - الاصول التاريخية ، ص ١١٥ و ١١٦

٢ - الطبري، ح٦ ز ص ٥٠١ ومابعدها .

وفي سنة ٩٨هـ / ٧١٦ م زمن الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك ، وردت سفارة الى الامبراطور الصيني (كائي يوانغ) قادمة من دمشق وهي هدايا تحتوي على عباءات مطرزو بخيوط الذهب، والعقيق ورشاشات العطور وهدايا اخرى نفيسة ، وان الامبراطور اكرم السفير العربي وانعم عليه برتبة فارس. ولعل سليمان اراد من سفارته هذه استرضاء امبراطور الصين والتحالف معه ضد خصومه من القواد فيا وراء النهر وخراسان(١٠).

وتتحدث التواريخ الصينية عن سفارتين قدمتا من بلاد ماوراء النهر الاولى سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م والثانية في سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥ م وكانت برئاسة سليمان بن ابي الساري الذي عمل في جيش سعيد بن عمر الحرشي في كاشغر ومعه ثلاثة عشر رجلا من العرب يعتقد ان الغرض منها كسب صداقة امبراطور الصين ليوقف مساعداته للاتراك الذين يعوقون تقدم العرب في فتوحاتهم في اسيا الصغرى. وتذكر هذه التواريخ ان وفدا ورد الى الصين سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م من بلاد العرب مكونا من ثمانية اشخاص برئاسة (ديدو) وتقول عنه انه قائد من قواد العرب وقد انعم الامبراطور عليه برتبة الفارس من الدرجة الاولى واكرم وفادته، ومن المحتمل ان هذا القائد تركي الاصل كان بأمرة احد القادة العرب ببخارى او سمرقند ويؤيد هذا الرأي ماذكره الاستاذ (جب) في كتابه فتوحات العرب لآسيا الوسطى، من السفارات التي وصلت الى الصين ابان هذه الحقبة كانت في معظمها قادمة من اواسط اسيا ويدلل على ذلك بالسفارة التي وقعت في سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م والتي ارسلها القائد العربي جنيد الذي كان تحت امرة نصر بن سيار في عهد الخليفة الاموي هشام، وكان رئيس هذه البعثة كما يدل عليه اسمه مسلما تركيا من تراخان.

وبسفارة عام ١٢٤ هـ / ٧٤١م التي ترأسها حسين مبعوثا من نصر بن سيار وقد انعم عليه الامبراطور الصيني برتبة «القائد اليمين»وخلع عليه خلعه سنية مع منطقة منسوجة بخيوط الذهب. ويذكر (جب) ضمن مايذكر ثلاث سفارات في سنوات ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٧ م كان قد ارسلها نصر بن سيار بعد ان استقر في بلاد ماوراء النهر لتنشيط التجارة وتحسين اوضاع الطبقات المتوسطة من التجار والمزارعين(١٧).

---

١ ـ العلاقات بين العرب والصين ، ص ١٨٢

٢ ـ المصدر السابق نفسه، ص ١٨٥

وفي ظل الخلافة العباسية، نشطت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين العربية والصينية وبعض هذه السفارات ارسلها الخلفاء ابو العباس السفاح وابو جعفر المنصور ومحمد المهدي وهارون الرشيد. ومنها ما ارسله الولاة العباسيون كسفارة عام ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م التي يعتقد ان ابا مسلم الخراساني قد ارسلها لما كان واليا على خراسان زمن ابي العباس السفاح، وجدير بالذكر ان ابا مسلم كان قد ارسل جيشا يقوده زياد بن صالح في سنة ١٣٤ هـ / ٧٥١ م ارضاء لرغبات العباسيين في التوسع بسلطانهم نحو الشرق واخضاع بلاد الصين، وفي موضع تالاس احرز العباسيون نصرا مؤزرا على الجيوش الصينية التي كان يقودها (كاوشيان جي) حتى قدر من قتل واسر منهم بسبعين الف.(١)

سجل تاريخ الصين خمس عشرة سفارة من العباسيين خلال نصف قرن ١٣٢-١٨٤ هـ / ٧٥٠-٨٠٠ م اكثرها جاءت إلى الصين لزيارة ودية او لتقديم الهدايا. ويلاحظ ان هذه السفارات كانت على شكل وفود وقد يذكر احيانا اسم رئيس الوفد، فسفارة سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م، كانت من ٢٥ عضوا ، في حين كانت سفارة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م مشتملة على بضعة اعضاء ثم انضم اليها اخرون من العرب المستوطنين في تلك البلاد ليصل عدد الوفد الى ثمانين عضوا غصت بهم ضاحة التشريفات.

وعزز هذه العلاقات الودية ووطد هيبة العباسيين في الصين تلك المعونة العسكرية التي قدمها العباسيون الى اسرة (تانغ) الصينية الحاكمة ايام الخليفة المنصور، ذلك ان الامير الصيني (سوجونغ) استعان بالمسلمين للقضاء على ثورة داخلية عصفت بحكم ابنه الامبراطور (يونغ جونغ) وبالفعل ادى تدخل الجيش العباسي الى تثبيت سوجونغ على عرش الصين.(٢)

ويظهر مما ذكره سليمان التاجر في رحلته «اخبار الهند والصين» ومؤلفات ابن خرداذبة والمسعودي وابن بطوطة ، ان العباسيين جهدوا انفسهم في تأمين الطريق البحري وحمايته من المخاطر من ذلك القوة البحرية التي ارسلها العباسيون سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م لمطاردة القراصنة في المحيط الهندي والخليج العربي ، مما ادى الى انتظام العلاقات

---

١ - الاصول التاريخية... ص ١٢١ .

٢ - صفوة الاعتبار في مستودع الاقطار والامصار، لبيرم التونسي، ج١ ز ص ٢٣

التجارية بين الطرفين والى تمتين العلاقات الدبلوماسية مع بلاد الصين وصرنا نسمع عن سفارات وصلت الى بغداد قادمة من الصين وهي تحمل هدايا او رسائل الى الخلفاء العباسيين، فالمسعودي يشير(١) :

الى وفد من الصين حمل الى الخليفة المقتدر بالله انواعا من الهدايا بينها قرود مدربة ومثل ذلك فعل وفداخركان قد قدم الى بلاط الخلافة زمن الخليفة المهدي. وفي المصادر الصينية نص تاريخي يشير الى وجود فنانين صينين بمدينة الكوفة في منتصف القرن الثامن الميلادي، فالكاتب الصيني «توهوان» كان في الاسر عند العرب سنة ١٣٤ هـ / ٧٥١ م ونجح في الهرب سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م على ظهر سفينة تجارية الى كانتون ومنها الى وطنه سينجان فو، وتحدث عن مدينة الكوفة في كتاب له وذكر صناعا من بني وطنه كانوا اسرى فيها وانهم علموا الصناع العرب نسج الاقمشة الحريرية الخفيفة وصناعة التحف الذهبية والفضية وفن النقش والتصوير، مع ما في حديث هذا الكاتب من مبالغة فان ما ذكره يدل على مدى علاقة الصين بالدولة العباسية منذ عهد ابي جعفر المنصور.(٢)

دخلت الصين في مرحلة اضطرابات داخلية منذ منتصف القرن التاسع، أدت الى القضاء على اسرة تانغ سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م ثم مرت على عرش الصين خمس أسر ضعيفة حكمت كلها خلال ست وخمسين سنة، فانقطعت صلة الصين بالعرب قرابة قرن ، بحيث لانجد في كتب الصين اية اشارة للعرب بين سنتي ٣٢٦ و ٣٣٩ هـ/ ٨٥٠ و ٩٥٠ م غير ان مجيء اسرة سونغ التي حكمت الصين اكثر من ثلثمائة سنة ٣٤٩ - ٦٧٥ هـ / ٩٦٠ - ١٢٧٦ م فتح صفحة جديدة من الصلات التجارية والدبلوماسية، حتى بلغت السفارات العربية الى هناك خمسا وعشرين سفارة بين سنتي ٣٤٩ و ٥٣٥ هـ / ٩٦٠ و ١١٤٠ م ، غير ان هذه السفارة لم تكن كلها رسمية بل كان اكثرها مما قام بها التجار انفسهم لتحسين علاقة العرب بالصين وانها في الاغلب سلكت طريق البحر من خلال الموانئ التي تذكرها.(٣)

ومن بين تلك السفارات نذكر سفارة رسمية صينية بعثها الامبراطور (سونغ تائي جونغ) سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م الى الخليفة المطيع العباسي للتعارف ويطلب منه ابداء

---

١ - مروج الذهب .... ج٤ ص ١٩٦

٢ - الصين وفنون المسلمين، ص ٢٠

٣ - الاصول التاريخية .... ص ١٢٣ وما بعدها

المساعدة للسائح الصيني (اين جنغ الذي يريد الرحيل الى الغرب ، وبالفعل ارسل المطيع لله بعثة تحمل هدايا ورسالة ودية. وفي المصادر الصينية ان رئيس البعثة هنه عربي اسمه «برهان»(١).

وفي سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١م وردت الى الصين سفارة يرأسها رجل يسمى «نعمان» وقد انعم الامبراطور عليه بلقب «واي خواجيان جونغ» اي امين الحضارة ، وكتب ذلك على ورق مذهب في خمسة الوان. وفي سنة ٣٦٦ هـ/ ٩٧٦ م وصلت سفارة يرأسها عبد الحميد، وفي السنة التالية وصلت سفارة برئاسة ابن سينا ومعه نائب يسمى محمود ومعهم القاضي ابو لؤلؤ وخدام جاحظة اعينهم سود ابدانهم يسمونهم عبيد الحبشة، وتوالت السفارات في سنتي ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م و ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م وكانت قادمة من وراء النهر يرأسها خواجة يحمل الكندر والسكر والعطور وسلعا اخرى الى الامبراطور الصيني. واهم السفارات جميعا هو ماورد سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م وهي سفارة من تاجر كبير في كانتون منذ مدة طويلة حتى انه اتقن اللغة الصينية وكانت له مراكب تجارية تجوب البحار ويسمونه في الصين باسم «بوهيم» وربما هو ابراهيم بن اسحاق الذي اشار اليه ياقوت الحموي[٢]. ولم يذهب ابراهيم هذا الى عاصمة الصين لمقابلة الامبراطور بنفسه لان المرض منعه من الحركة، فبعث صديقة «لياف» لحمل رسالة تتضمن وهدايا الى الامبراطور الصيني مفصلة على النحو التالي :

العاج .... خمسون عددا
الكندر .... الف وثمانمائة رطل صيني
البرنيان الاحمر .... قطعة واحدة
البرنيان الملون .... اربع قطعات
قماش الجوت .... قطعتان
التوتيا .... قارورة واحدة
اعجوبة غريبة .... قطعة واحدة
ماء الورد .... مائة قارورة

---

١ ـ العلاقات بين العرب والصين، ص ١٩٠

٢ ـ معجم البلدان، ج٥، ص ٤٠٨

ثم ان الامبراطور انعم على ابراهيم بن اسحاق برسالة يشكر له فيها هداياه شاهدا على القبول كما انعم عليه بخلعة الشرف وصناعات فضية.[1]

وبعث هذا التاجر في سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م رسالة تقدمه وهدايا اخرى بوساطة تاجر يسمى ابا عبد الله بن ابراهيم بن اسحاق ، فلما ورد الى العاصمة جاء امين القصر ودله على قاعة التشريفات فلما مثل بين يدي الامبراطور، قال بوساطة الترجمان : ان ابا ابراهيم قد انجر الى كانتون لطلب اسباب الرزق وكسب المنافع فلم يرجع منذ خمس سنوات، فجاء بأمر الوالدة للبحث عنه فوجده في مدينة كانتون .... وقد امرني ان احضر الى العاصمة لرفع كلمة الشكر الى السدة السنية على العطف الكريم وتقديم بعض اشياء يسيرة من حاصلات بلادنا. فسأله سونغ تائي جونغ عن بلاده فاجابه قائلا : انها قريبة من بغداد وتحت امر حاكمها وواقعه بين الجبال والبحارة. ثم سأله اسئلة اخرى . وبعد هذه المحاورة خلع عليه الامبراطور خلعة وانعم عليه باشياء اخرى ثمينة وانزله عنده ضيفا عدة شهور ثم ودعه بحفاوة ورد على هداياه باحسن منها من ذهب وحرير وشكر له ما بعث به ابوه اليه[2].

وتوالت السفارات في عهد اسرة سونغ بين السنوات ٣٨٧ - ٤١٤ هـ /٩٩٧ - ١٠٢٣ م ثم اخذت تتناقص الى ان انقطعت بعد سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م. وبعض هذه السفارات جاءت عن طريق البر من الامراء السامانيين، نذكر منها البعثة التي ارسلها نصر بن احمد الساماني الى امبراطور كين بسندابل بشمال الصين واسمه (قالين بن الشخير) وقد رأس البعثة ابو دلف مسعر بن مهلهل الينبعي الذي حظي بمقابلة الامبراطور ونقل اليه رغبة الامير الساماني بتزويج ابنه نوح من ابنة الامبراطور فاجابه الى ذلك، وبعد ان جهزت سلمها اليه يرافقها نحو مائتي خادم وثلثمائة جارية حيث حملت الى نوح بن نصر بخراسان فتزوجها مما زاد في تمتين الروابط الودية بين السامانيين واهل الصين[3]

وهذه السفارات تعكس ازدهار التبادل التجاري الذي سبق العلاقات الدبلوماسية والسياسية اولا، وان بعض التجار العرب استوطنوا الصين ولاسيما الموانئ الجنوبية ثانيا، كما

---

١ - العلاقات بين العرب والصين، ص ١١١ ومابعدها

٢ - المصدر السابق نفسه، ١١٥ و ١١٦

٣ - معجم البلدان، ج٥ ، ص ٤١٤

تكشف لنا صورة حقيقية عن الثروة التي اكتسبها هؤلاء التجار في اسواق الصين ابان القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والسادس عشر الميلاديين.